دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى[1]

(جماعة يرون أنه يكفى علم البيان معرفة علم اللغة وطعنوا على الشعر والنحو ثم يبين الجرجانى أن سبيل معرفة حجة الله هى السبيل الأدبى فالطاعن فى الشعر صاد عن سبيل الله وكذلك فى النحو :

يقول ص ٤ : ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلا وأبسق فرعاً وأحلى جنى وأعذب وردا وأكرم نتاجاً وأنور سراجاً من علم البيان الذى لولاه لم تر لسانا يحوك الوشى، ويصوغ الحلى، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويقرى الشهد ويريك بدائع من الزهر ويجنيك الحلو اليانع من الثمر ... إلا أنك لن ترى على ذلك نوعاً من العلم قد لقى من الضيم ما لقيه، ومنى من الحيف بما منى به ودخل على الناس من الغلط فى معناه ما دخل عليهم فيه، فقد سبقت إلى نفوسهم اعتقادات فاسدة، وظنون رديه، وركبهم فيه جهل عظيم وخطأ فاحش ... يقول إنما هو خبر واستخبار، وأمر ونهى ولكل من ذلك لفظ قد وضع له وجعل دليلا عليه، فكل من عرف أوضاع اللغة من اللغات عربية كانت أو فارسية وعرف المغزى من كل لفظة ثم ساعده اللسان على النطق بها، وعلى تأدية أجراسها وحروفها، فهو بين فى تلك اللغة، كامل الأداة، بالغ من البيان المبلغ الذى لا مزيد عليه، منته إلى الغاية التى لا مذهب بعدها ص٥ ... فإن استظهر للأمر وبالغ فى النظر، فإنه لا يلحق فيرفع فى موضع النصب، أو يخطىء فيجىء باللفظة على غير ما هى عليه فى الوضع اللغوى، وعلى خلاف ما ثبتت به الرواية عن العرب وجملة الأمر أنه لا يرى النقص يدخل على صاحبه فى ذلك إلا من جهة نقصه فى علم اللغة. لا يعلم أمرها هنا دقائق وأسرار طريق العلم بها الروية والفكر، ولطائف مستقاها العقل، وخصائص معان ينفرد بها قوم قد هدوا إليها ودلوا عليها، وكشف لهم عنها، ورفعت الحجب بينهم وبينها، وأنها السبب فى أن عرضت المزية فى الكلام

---

(١) السنى الشافعى أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى :

عاش فى القرن الخامس الهجرى وتوفى على الراجح عام ٤٧١هـ ولم نعثر لعبد القاهر رغم مكانته العلمية إلا على تراجم قصيرة وهى تتفق فى أنه كان علماً واسع الثقافة وأنه كان متكلماً على مذهب الأشعرى وفقيهاً على مذهب الشافعى وأنه أخذ النحو عن أبى الحسن محمد ابن الحسن بن أخت أبى على الفارسى المشهور وبعضها يذكر أنه أخذ الأدب والنقد عن القاضى على ابن عبد العزيز الجرجانى.